

## (١) مصطفى البكري الصديقي

المرسفي القدسي الحنفي الرماني

(١٠٩٩ هـ - ١١٦٢ هـ - ١٦٨٧ م - ١٧٤٨ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدي



هذه شخصية من رجال القرن الثاني عشر الهجري ، نشأت في دمشق ، وترعرعت في بيت القدس وانتهى بها المطاف إلى مصر ، وقد تركت لنا عدداً من الرحلات في الديار القدسية ، وسوريا ، والأناضول ومصر والحجاز . ومع أن هذه الرحلات ليست شيقة ، ومع أن أسلوبها يمثل أسلوب القرن الثاني عشر الركيك ، وبالرغم من انصراف صاحبها إلى الوعظ والإرشاد عن طريق التصوف ، شأن حملة العلم من رجال ذلك القرن ، إلا أنها تلقى نوراً على كثير من الحوادث ، ونصف لنا حالة البلاد التي زارها في ذلك العهد المظلم . ونرجو أن يتمكن من تلخيص بعض هذه الرحلات للقراء الكرام . وقد سبق أن نشرنا رحلتين قام بهما صاحب الترجمة من دمشق إلى القدس وبالعكس في كتاب رحلات إلى ديار الشام ، وذلك في سنة ١١٢٢ هـ و ١١٢٦ هـ . وقد كتب ونظم الشيء الكثير . ويقول السيد حسن بن عبد اللطيف الحسيني القدسي في كتابه [ أعيان القدس في القرن الثاني عشر ] إن مؤلفاته زادت على المئة . وروى لنا المرادي في درره أن كلته ظهرت في أرض الكنانة ، وأن تلامذته ومريديه لما بلغوا مئة ألف أمر بعدم كتابة أسمائهم ، وقال هذا شيء لا يدخل تحت عدد .

وهو ابن كمال الدين بن علي بن كمال الدين عبد القادر محبي الدين الدمشقي البكري الأستاذ الكبير والمارف الرباني ترجمه المرادي

(١) مؤلف الحمرة المحمية في الرحلة القدسية ، والمطهرة الثانية الانسية للروضة القدسية ، والرحلة الحلبية ، والنحلة النصرية في الرحلة المصرية ، والحلة الحنظلية لا المجازية في الرحلة المجازية ، والاحداث في الرحلة إلى جبل لبنان ، والرحلة المجازية الثانية ، والقدوم لدار الروم . الخ الخ

وأفرد له عشر صفحات<sup>(١)</sup> وامتته « بأحد أفراد الزمان وصناديد الأجلال من العلماء الأعلام والأولياء العظام العالم العلامة الأواحد أبر المعارف قطب الدين صاحب العوارف والمعارف والآيف والتجربات والآثار التي اشتهرت شرقاً وغرباً ، وبعد صيتها في الناس محجماً وعرباً » . كما ترجم له السيد حسن بن عبد اللطيف الحسيني في كتابه « أعيان القدس في القرن الثاني عشر »<sup>(٢)</sup>

ولد بدمشق سنة ١٠٩٩ هـ وتوفي والده وكان عمره ستة أشهر ، فنشأ يتيماً في حجر ابن عمه ، واشتغل بطلب العلم على شيوخ الشام وأجاز له محمد بن محمد البديري الدمياطي<sup>(٣)</sup> ولأزم الشيخ عبد الغني النابلسي<sup>(٤)</sup> وأخذ الطريقة الخلوتية<sup>(٥)</sup> ثم سكن بعد ذلك إخوان المدرسة الياذرائية<sup>(٦)</sup> وأخذ يدرس فيها فكثرت طلابه ومريده .

وقام في سنة ( ١١٢٢ هـ ١٧١٠ م ) برحلته الأولى من دمشق إلى القدس ، وهي تشبه كثيراً رحلة أستاذه الشيخ عبد الغني النابلسي التي قام بها ( ١١٠١ هـ ١٦٨٩ م ) وقد وصف فيها لنا الطريق ، وما مرّ عليه من القرى والديساكر ، وحالة الأمن ومرافقته الركب والغفيرة ، وخان عيون التجار الذي بناه سنان باشا ، وهو خراب الآن يقع بالقرب من قرية شخيرة ، ثم مدينة جنين لاحتين المحصنة ، ثم تعرض اللصوص للركب ، ثم طواحين وادي نابلس وكانت تسير على المياه وهي خراب الآن ، ثم القدس ، والحرم القدسي ، وباقي المزارات ، واجتمع وهو يدور مقام الإمام علي بن عليل العمري على ساحل البحر شمالي

(١) من ١٩٠ ج ٢ سلك الدرر .

(٢) مخطوط في حوزة كاتب المقال .

(٣) جد عائلة البديري ببيت القدس .

(٤) ولد بدمشق ١٠٥٠ هـ وتوفي ١١٤٣ هـ صاحب الحضرة الانسية في الرحلة القدسية ، طبعنا خلاصتها في كتابنا رحلات إلى ديار الشام .

(٥) أسسها عمر الخلوتي من قيصرية في بر الأناضول ( آسيا الصغرى ) سنة ٨٠٠ هـ كما جاء في الذكر الحلي . كانت في أوائل القرن التاسع معروفة بالقدس وقد فقد ذكرها من المستندات منذ قرنين .

(٦) أسس هذه المدرسة بدمشق العلامة نجم الدين أبو محمد عبد الله أبي الوفاء بن محمد بن عبد الله بن عثمان البافرائي البغدادي ، ولد سنة ٥٩٤ هـ وتوفي سنة ٦٥٥ هـ . وقد بنيت هذه المدرسة مكان دار الأمير أسامة بن المنقذ صاحب قلعة شيزر .

وأخذ عنه الطريقة القادرية<sup>(١)</sup> ومنها إلى حلب وكان واليها الوزير رجب باشا المتقدم ذكره . وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ أحمد خطيب المسروية الشهير بالبني . ثم توجه إلى دار السلطنة العلمية قسطنطينية عن طريق البر ونزل في مدرسة سوردق مدة إقامته فيها ، وكان يتنقل بين المدارس ، ويمكن على التأليف والإرشاد ، وكلما سكن في جهة وشاع خبره بقصده الناس فيرتحل إلى غيرها . وفي سنة ١١٣٨ هـ رجع عن طريق البر إلى حلب ونزل في المسروية ثم توجه إلى بغداد ونزل في القادرية . وجاءه كتاب من شيخه عبد الغني النابلسي يحثه على العودة إلى الشام لأجل والدته فزم وتوجه إلى الموصل فخاب فدمشق . رحن إلى الأرض المقدسة فرحل متوجهاً إلى القامع العزيز وبلاذ صغد سنة ١١٤٠ هـ وفي تلك السنة ولد له ولد هو الشيخ محمد كمال الدين .

وأقام في القدس يرشد ويصنف إلى سنة ١١٤٥ هـ حين عزم على الحج مع رفيقه ومثمه (حسن بن مقلد الجيوشي) [الجيوشي الآن] شيخ ناحية بني صعب [قضاء طولكرم وأصلها طوركرم وهو الأصح] فتوجه إلى الزيرب ومنها إلى المدينة فسكة وعاد مع الركب الشامي إلى القدس .

وفي سنة ١١٤٨ هـ سار للبلاد الرومية [تركيا الآن] . فر على بلاد صغد ودمشق ، ثم دار السلطنة ، وتوجه منها بحراً إلى الإسكندرية فوصلها في ثمانية أيام ، ومنها إلى مصر . وعزم بعد ذلك على الرجوع للشام فدخل القدس ، وكانت له بنت رآها مريضة وقد توفيت بعد ذلك فحزن عليها كثيراً . وفي سنة ١١٤٩ هـ توجه إلى أرض الكفانة وصحبه جمع كثير ، وظهرت كلفته ، ولما جاوزوا المائة ألف لم يجد يحصيه . وحج وعاد إلى دمشق ، وكان واليها إذ ذاك سليمان باشا المظني [المظم] فنزل قرب الخانقاه المسماطة ونحوه بعد ذلك إلى نابلس فسكن فيها مدة . وفي سنة ١١٥٢ هـ توجه إلى القدس وبقي بها إلى سنة ١١٦٠ هـ ، ثم سار إلى مصر والساحل الشامي ، فوصل مصر ونزل قرب الأزهر . ولما وصل قرية الزوايل تلقاه الأستاذ الحفني مع خلائق كثيرين من علماء مصر ، وأقام يرشدهم ويزدهجون على يابه وقل من يتخلف عن تقبيل يديه . وفي سنة ١١٦١ هـ عزم على الحج . وأخذ الطريقة

مدينة يافا بالشيخ الإمام نجم الدين بن خير الدين الرملي<sup>(١)</sup> وكان نجم الدين مفتي مدينة الرملة حينذاك فدرس عليه الموطن للامام مالك . وقد جيء للشيخ بزنيق برقي طيب الرائحة فقال إن والدي أي خير الدين قال فيه :

وزنيقة قد أشبهت كأس فضة برأس قضيب من زمردة عجب سداسي مشكل كل زاوية له على رأسها الأعلى هلال من الذهب وعاد بعد ذلك إلى دمشق ، ومنها إلى حلب<sup>(٢)</sup> ثم بغداد وانتقل سائحاً في البلاد الشامية ، ثم دخل القدس ثانية سنة ١١٣٦ . وكتاب رحلته الثانية ، كما ألف كتابه ورد السحر المعروف [بالتفتح القدسي والكشف الأنسي] وعمر بالقدس الخلوة التحتانية<sup>(٣)</sup> وكانت أقام بها الأذكار ، ولها تعيين من خبز وأكل على تكمية السلطان<sup>(٤)</sup> إن أقام بها . وتزوج في القدس ، وأرخ بعض رفاقه زواجه بقوله [زفت الزهراء للقمير] .

وقدم من جهة دمشق وإلى مصر لزيارة القدس وهو الوزير رجب باشا ، فزار صاحب الترجمة وصار له فيه اعتقاد ، واصطحبه معه إلى مصر ، فدخل مصر وأقام بها مدة ، وأخذ عنه العلم والطريقة خلق كثير من أجهلهم النجم محمد بن سالم الحفني . ثم زار السيد البدرى ، ومن هناك إلى دمياط وأقام في جامع البحر وأخذ عن علامتها محمد البدرى وأجازة أجازة عامة . ثم رجع إلى بلدة بيت المقدس عن طريق البحر وأقام فيها إلى سنة ١١٣٥ هـ . وتوجه إلى طرابلس الشام عن طريق البر ومنها إلى حمص وحماه ، ونزل في بيت يسن القادري الكيلاني شيخ السجادة القادرية

(١) هو خير الدين الرملي العلي القاروق الإمام المحدث صاحب الفتاوى الحيرية (الحنفية) ولد سنة (١١٩٣ هـ) وتوفي سنة ١٢٠٨١ هـ ترجمه المحيي ص ١٣٤ .

(٢) كتب عنها رحلته الحلبية .

(٣) تقع هذه الخلوة في الحرم القدس على يسار المعابد إلى درج الصخرة وتعرف بالخلوة البكرية الآن .

(٤) وهي أعظم أثر من آثار الثمانيين في القدس بل في فلسطين ، ساشا سور بيت المقدس . ولا تزال هذه التكمية عامرة توزع الحما (الشوربا) والخبز على فقراء بيت المقدس أسست سنة (١٢٠٩ هـ - ١٢٠٩ م) أسستها خامس سلطان (روكليتا) زوجة السلطان سليمان القانوني .

(١) أنشأها السيد عبد القادر الجيلاني في بغداد سنة (١٢٦١ هـ) وهي أهم الطرق في العراق والهند